واو العطف بين الفهم التقليدي لمطلق الجمع و دلالة الترتيب دراسة في كتاب الأحاديث الموافقات العوالي لزينب بنت الكمال (ت ٧٤٠هـ)

The conjunctive "waw" between the traditional understanding of absolute Collectivity and the implication of sequence: A study of kitab "Al - Muwafaqat Al - Awali" by Zaynab bint al - Kamal (d.740 AH)

إعداد

م.م. مروة طارق أحمد خليل

preparation by

Marwa Tarik Ahmed Khali

الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياحية

Mustansiriyah University / College of Tourism Sciences

marwa.tarik@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

This research represents a semantic guide of conjunctive waw in Alahadeeth book (Almouafaqat Alawaly) written by Zainab Bin Alkamal, during an analytic reading in its Ahadeeth that deals with the semantic functions of conjunctive waw in prophetic traditions. As for conjunctive importace in general spesifically conjunctive waw, in relation of the semantics with context,this research considered as a complemen of previous research that deals with conjunctive waw that deals with deep structure of context not only meaning.

This research is divided into two chapters, introduction and conclusion, the first chapter explain conjunctive waw in addition to the definition of Almouafaqat Alawaly book while the second chapter deals with the analytic of prophetic traditions book, finally conclusion shows the results of my studies.

Key words: conjunctive waw , absolute Collectivity , implication of sequence.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 42
ISSN: 2225-9732

March 2026

المستخلص

يعالج هذا البحث التوجيه الدلالي لواو العطف في كتاب «الأحاديث الموافقات العوالي» للحافظة زينب بنت الكمال، عبر القراءة التحليلية للأحاديث الواردة فيه، واستقراء الوظيفة الدلالية لواو العطف في سياق الأحاديث النبوية. ولأهمية حروف الربط بصفة عامة، وحرف الواو بصفة خاصة، ولعلاقة الدلالة بالسياق اللغوي؛ جاءت هذه الدراسة لتكمل دراسات سابقة لاستكشاف الدلالة الحقيقية المستنبطة للواو العاطفة، من خلال البنية العميقة للنص وعدم الاكتفاء بالدلالات الظاهرة.

توزّع البحث على مبحثين ومقدمة وخاتمة، أما المبحث الأول: تعرضت فيه للعطف في اللغة العربية، والتعريف بكتاب «الأحاديث الموافقات العوالي»، واما الآخر: يُعنى بتحليل الشواهد من الأحاديث النبوية في الكتاب، وخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي.

الكلمات المفتاحية: واو العطف، مطلق الجمع، الترتيب.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 42
ISSN: 2225-9732

March 2026

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ لا شك أنَّ الدراسات الدلالية قد نالت حيزاً كبيراً من الدراسات اللغوية، لا سيّما دلالة أدوات الربط التي تكون جسورًا بين الجمل والمعاني؛ لتعطي نصًا مترابطًا من حيث المعنى والبنية اللغوية، فهي تعد مفتاحًا لفهم البنية العميقة للنصوص؛ فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على دلالة حرف العطف الواو في كتاب «الأحاديث الموافقات العوالي» للحافظة زينب بنت الكمال (ت ٧٤٠هـ)، وقد وقع اختياري على هذا الكتاب ميدانًا للتطبيق؛ لما له من أثر علمي في نقل أحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، ومن أجل بيان دور المرأة في رواية الحديث، وتأكيدًا على ظهورها الفاعل في التراث الإسلامي.

يسعى هذا البحث للإجابة عن عدد من الأسئلة الرئيسة منها، ما الدلالات التي تؤديها الواو العاطفة في الأحاديث النبوية؟، وهل يؤثر السياق اللغوي في توجيه دلالة الواو عند اختلاف رواية الحديث؟ وما مدى اختلاف النحاة في دلالة الواو العاطفة على الترتيب.

اتبعت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي، فقمت باستقراء الأحاديث القولية لنبينا صلى الله عليه وسلم التي تحتوي على واو العطف، دون الوقوف على الأحاديث الفعلية لاحتمالية نقلها بالمعنى، وتحليلها في ضوء سياقها اللغوي، وإيراد الرواية الثانية للحديث إنْ وجدت.

وقد جزأت بحثي هذا على مبحثين، أما الأول بينت فيه شيئًا عن العطف من حيث تعريفه وحروفه، ودلالة الواو العاطفة بشكل مفصّل، وعن كتاب «الأحاديث الموافقات العوالي»، أما المبحث الآخر، فكان دراسة تطبيقية عن الأحاديث النبوية القولية الواردة في الكتاب، وقد وقع في مطلبين متفاوتين في طولهما؛ لأنَّي اعتمدت في تقسيمهما على دلالة الواو، وأسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول: واو العطف وكتاب «الأحاديث الموافقات العوالي»

أُحاول في هذا المبحث تقديم نبذة يسيرة عن العطف في اللغة العربية، من حيث تعريفه ومعاني حروفه بصورة عامة، وأُبسط الحديث عن واو العطف، وأقوال النحاة في دلالتها، بصفة

خاصة، وكذلك التعريف بكتاب «الأحاديث الموافقات العوالي»، ومؤلفه.

المطلب الأول: العطف في اللغة العربية

أولاً: تعريف العطف لغة واصطلاحًا: - العطف لغة: أصله من عَطَفَ، ويدل على انثناء وعياج[١]، يقال: عطفتُ الشيءَ أملته[٢]، وعطفتُ الوسادة ثنيتها[٣]، ويقال: العطف العَوْد والميل، عطف فلان إلى ناحية إذا مال إليه، وانعطف نحوه[٤].

ومما تقدم تدل عَطَفَ على معاني الثني واللّي والعَوْد. - العطف اصطلاحًا: قال الجرجاني في التعريفات: «العطف تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة، مثل: قام زيد وعمرو، فعمرو تابع مقصود بنسبة القيام إليه مع زيد»[٥]. وذكر أبو الفداء بأنه تابع مقصود ينسب إليه مع متبوعه، يقع بينه وبين متبوعه أحد الحروف[٦]، فهو تشريك الثاني في الأول بحرف العطف، [٧] ويسمى بعطف النَّسَق، وهو تسمية الكوفيين[٨].

ومما تقدم نلاحظ وجود ترابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للعطف، فالمعنى اللغوي يدل على الثني والميل والعَوْد، أي تقريب طرف من آخر، وبالتالي يؤدي ذلك إلى اشتراكهما؛ كذلك تعمل حروف العطف؛ فهي تقرّب بين طرفين - المعطوف والمعطوف عليه - وتشركهما في الحكم والأعراب.

ثانيًا: حروف العطف، أحكامها ومعانيها.

أولى النحاة سابقًا اهتمامًا كبيرًا بحروف العطف، لأهميتها في تنسيق الكلام وترتيبه، فقد ذكر ابن هشام أنها تنقسم على قسمين، الأول يقتضي التشريك في اللفظ والمعنى، إما بشكل مطلق وهي الواو والفاء وثم وحتى، وإما بشكل مقيّد لحرفي أم وأو، إذا كانتا لغير الإضراب، أما القسم

(١) ينظر مقاييس اللغة: ٣٥١/٤.
(٢) ينظر العين: ١٧/٢.
(٣) ينظر الصحاح تاج اللغة: ١٤٠٥/٤.
(٤) ينظر تهذيب اللغة: ١٠٦/٢، وشمس العلوم: ٧/ ٤٦٠٩.
(٥) التعريفات: ١٥١.
(٦) ينظر الكناش في النحو والصرف: ٢٢٩/١.
(٧) ينظر البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٣٢٩.
(٨) ينظر ارتشاف الضرب: ١٩٧٥/٤.

الآخر يقتضي المشاركة في اللفظ دون المعنى وهي بل ولكن[١].

أما معانيها، ف(الواو) لتشريك الثاني في الأول، نحو: مررت بالكوفةِ والبصرةِ، فجائز أنْ تكون البصرة أولًا، وجائز أنْ تكون الكوفةُ أولًا[٢] وقيل للترتيب[٣] أي مرّ بالكوفة أولًا، و(الفاء) و(ثمّ) للترتيب لكن (ثمّ) أشدّ تراخيًا، نحو: رأيتُ زيدًا فعمرًا، هنا توجب أنَّ الثاني بعد الأول وأنَّ الأمر بينهما قريب، أما قولك، أتيتُ مكة ثم المدينة، يعني أنَّ هناك مهلة بين ذهابك للمكانين[٤]، وقيل عن (ثمّ) إنَّها لا تقتضي مهلة؛ لأنَّ ثمّ في ذلك لترتيب الإخبار ولا تراخي بين الإخبارين[٥]، أما (أو) هي لشكّ المتكلم أو قصده أحد أمرين، والإباحة نحو: جاءني رجل أو امرأة في حالة الشكّ، أما إذا قصد نحو: أعطني دينارًا أو اكسني ثوبًا، إي اختر أحد الأمرين ولا تجمع بينهما، والإباحة نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي مباح لك مجالسة هذا الضرب من الناس[٦]، و(إما) تدل على الشكّ في الخبر والتخيير، فالشك نحو: جاءني إما زيد وإما عَمْرو[٧]، والآخر كقوله تعالى:]إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا[[٨]، وبعضهم قام بإسقاطها من حروف العطف[٩]، أما (لا) فهي لنفي الحكم عن الثاني وقصره على الأول، نحو: ضربتُ زيدًا لا عمرًا، أي نفي الضرب عن عَمْرو[١٠]، و(بل) تفيد الإضراب عن الأول وتقرير حكم متلوها، نحو: جاءني عبد الله بل أخوه، و(لكن) تفيد الاستدراك بعد النفي كالحرف (بل)، نحو: ما رأيتُ رجلًا لكنْ امرأة[١١]، أما (حتى) لانتهاء الغاية والتدرج، نحو: ضربتُ القومَ حتى زيدًا[١٢]، أي ضربت القوم جميعًا حتى وصل إلى زيد.

(١) ينظر أوضح المسالك: ٣١٨/٣.
(٢) ينظر الأصول في النحو: ٥٥/٢.
(٣) ينظر شرح ابن عقيل: ٢٢٦/٣.
(٤) ينظر المقتضب: ١٠/١.
(٥) ينظر مغني اللبيب: ١٦٠.
(٦) ينظر المقتضب: ١٠/١، والأصول في النحو: ٥٦/٢.
(٧) ينظر المقتضب: ١٠/١، والأصول في النحو: ٥٦/٢.
(٨) سورة الإنسان: ٣.
(٩) ينظر شرح كتاب الحدود في النحو: ٢٧٣.
(١٠) ينظر الأصول في النحو: ٥٦/٢، وشرح كتاب الحدود في النحو: ٢٧٤.
(١١) ينظر المقتضب: ١٢/١، وإرشاد السالك: ٦٣٥/٢، وشرح كتاب الحدود في النحو: ٢٧٤.
(١٢) ينظر الأصول في النحو: ٥٩/٢، وشرح كتاب الحدود في النحو: ٢٧٤.

ثالثًا: واو العطف، واختلاف النحاة في دلالتها.

واو العطف من أهم حروف العطف، لكثرة استعمالها في البنية التركيبية للنصوص، وانفرادها بخمسة عشرة حكمًا جمعها ابن هشام، تميزها عن باقي حروف العطف، كونها أم باب حروف العطف[١]، وقد أثارت اهتمام الكثير من الباحثين في هذا المجال. وقد تباينت أقوال النحاة بشأن دلالتها تباينًا ظاهرًا؛ ليدل على عمق التفكير اللغوي وثرائه.

فواو العطف، هي ماتعطف به آخر الاسم على الأول، وآخر الفعل على الأول، أو آخر الظرف على الأول، وتسمى بواو النسق، نحو: كلمتُ زيدًا ومحمدًا، فنصبت زيدًا؛ بإيقاع الفعل عليه، ونصبت محمدا لأنك نسقته بالواو على زيد[٢].

أما من ناحية المعنى الدلالي لها اختلف النحاة قديمًا في دلالتها وانقسموا في ذلك فرقًا، ففريق يرى أنها لمطلق الجمع، سواء أفادت الترتيب أم لم تفد، وهذا ما ذهب إليه سيبويه فقال: «تقول: مررتُ بزيد وعمرو، والمبدوء به في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيدًا، ويجوز أنْ يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة، فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني»[٣]، وكذلك المبرد والزجاجي[٤]، وفريق يذهب بالواو العاطفة إلى عدم إفادتها الترتيب، وهم السيرافي والسهيلي وأبو علي الفارسي، هذا ما ذكره ابن هشام وصلاح الدين الدمشقي وابن أم قاسم المرادي[٥]، وقد ردّ كل من ابن هشام والمرادي زعم هؤلاء الفريق فقال ابن هشام: «وقول السيرافي إنَّ النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب مردود» [٦]، وقال المرادي: «ما ذكره السيرافي والفارسي والسهيلي، من إجماع النحاة، بصريتهم وكوفيهم، على أن الواو لا ترتب، غير صحيح»[٧] والفريق الآخر يذهب بها إلى أنها للترتيب مطلقًا، وهو مذهب الكوفيين كقطرب والفراء[٨].

(١) ينظر مغني اللبيب: ٤٦٤، والنحو الوافي: ٥٦٧/٣.
(٢) ينظر الجمل في النحو: ٣٠٣.
(٣) الكتاب: ٤٣٨/١.
(٤) ينظر المقتضب: ١٠/١، وحروف المعاني: ٣٦.
(٥) ينظر مغني اللبيب: ٤٦٤، والفصول المفيدة في الواو المزيدة: ٦٨، والجنى الداني: ١٥٩.
(٦) مغني اللبيب: ٤٦٤.
(٧) الجنى الداني: ١٥٩.
(٨) ينظر مغني اللبيب: ٤٦٤، والفصول المفيدة في الواو المزيدة: ٦٨، والجنى الداني: ١٥٩.

وذكر السهيلي في كتابه «نتائج الفكر في النحو»، في مسألة عدم دلالة الواو على الترتيب في معرض تبسيط كلام سيبويه من أنَّ العرب تقدم ما هم به أهم، وببيانه أعنى، وأوضح سر تقديم المعاني، فجعلها في خمسة أمور: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال، وقد ساق الكثير من الأمثلة التوضيحية عن هذه الأمور الخمسة نذكر بعضًا للتوضيح، فأما ما تقدم بتقدم الزمان كتقديم الظلمات والنور، ومما يتقدم بالطبع كالأعداد، ومن تقدم السبب على المسبب تقدم العزيز على الحكيم، لأنه عزَّ فلما عزَّ حكم، ومن المقدم بالفضل والكمال في قوله تعالى:]اسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ[(١)، وأما المقدم بالرتبة كتقديم السماء على الأرض(٢).

وقد ذكر الباحث عمرو أحمد عُطيفي بأن ما دعا إليه السهيلي يفسّر لنا نفيه دلالة الترتيب في الواو، لكن النفي عنده إثبات من جهة ونفي من جهة أخرى؛ فالإثبات من باب تقييد الدلالة؛ فالبحث في التقديم والتأخير، خير دليل على عناية المتكلم بالترتيب، وأما من جهة النفي فهي من باب عموم الدلالة؛ لأنها لاترتب(٣)، وهذا ما اتفق به مع الباحث.

وقد ذكر جملة من القائلين بالترتيب، أنَّ الواو لها معنيان: معنى اجتماع، فلا تبالي بأيهما بدأت، ومعنى اقتران، باختلاف الزمان، فالمتقدم بالزمان يتقدم في اللفظ(٤)، إذ إن دلالة الترتيب مع واو الإقتران، ودلالة الترتيب يمكن أن تستنبط أيضًا من البنية العميقة للنصوص، لاسيّما بعد الوقوف على سرّ التقديم والتأخير، وعدم الاكتفاء ببنية النص الظاهرة.

المطلب الثاني: كتاب "الأحاديث الموافقات العوالي" ومؤلفه

أولاً: ما تضمنه كتاب "الموافقات العوالي":

يتضمن هذا الكتاب أحاديث عوالي(٥) للشيخة المسندة زينب بنت كمال الدين المقدسيّة، خرّجه لها علم الدين البرزالي، حيث انتقى ما علا من حديثها، ثم عين موضع العلو فيها، وبين

(١) سورة آل عمران: ٤٣.
(٢) ينظر نتائج الفكر في النحو: ٢٠٨ - ٢١٥.
(٣) ينظر واو العطف وإفادة الترتيب دراسة دلالية: ٣٥٥٥.
(٤) ينظر الجنى الداني: ١٥٩.
(٥) الأحاديث العوالي: هي الأسانيد التي يقل فيها عدد الرواة بين الراوي وبين النبي r. ينظر مقدمة ابن الصلاح ص٢٥٦.

أماكن وجودها في كتب الحديث المشهورة، وهذه العملية تسمى عند العلماء التخريج[١]، وعلى هذا فليس لزينب بنت الكمال من عمل في هذا الكتاب سوى أنّها راوية للأحاديث العالية.

ولم يذكر لنا علم الدين البرزالي طريقته في انتقائه للأحاديث أو ترتيبه لها، ويبدو أنَّ هذه الأحاديث مما حدثته بها زينب في مجالس السماع عند تتلمذه على يديها، فكتب الأحاديث في جزء مفرد ودونها في الثَّبَت[٢] الذي يكتب فيه مسموعاته، ثم قام فيما بعد بانتقاء هذه الأحاديث العوالي من مجموع حديثها.

ومن نافلة القول التنبيه أنَّ هذا الكتاب يُسلط الضوء على جانب مُشرق من جوانب التراث الإسلامي، والمتمثل بتعليم النساء ومشاركتهن في الجانب العلمي، ودورهن في رواية الحديث النبوي، والعلاقة العلمية بين الشيخات والتلاميذ الحفاظ.

وقد طبع هذا الكتاب سنة ٢٠٠٦م بتحقيق الدكتور مصطفى إسماعيل مصطفى العبيدي، ونشرته دار الكتب العلمية في بيوت لبنان، ويقع في ١٠٥ صفحة.

ثانيًا: ترجمة زينب بنت الكمال [٦٤٦ - ٧٤٠هـ]:

هي زينب[٣] بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسية، أم عبد الله[٤].

شيخة محدثة صالحة متواضعة خيرة كثيرة المروءة[٥]، ولدت سنة ست وأربعين وست مئة (٦٤٦هـ) في دمشق، وكانت مدينة مليئة بالعلماء، فبدأت بطلب العلم منذ أنْ كانت صغيرة، واعتنى والدها ووالدتها بتعليمها فأرسلوها إلى العالمة حبيبة بنت أبي عمر لتتولى تعليمها، وعندما اشتدّ عودها ذهبت لكبار علماء عصرها في بلدها، فأخذت عن العالم محمد بن عبد الهادي المقدسي، وخطيب مردا، وسبط ابن الجوزي، وعجيبة بنت الباقداري. ثم سافرت

(١) قال السخاوي: « التخريج إخراج المُحدّث الأحاديث من بطون الأجزاء والمشيخات والكتب ونحوها، وسياقها من مرويات نفسه أو بعض شيوخه أو أقرانه أو نحو ذلك، والكلام عليها وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين مع بيان البدل والموافقة ونحوهما». فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٣١٧/٣.

(٢) الثبَت: بالفتح، هو السجل الذي يدون فيه الطالب مسموعاته من الشيوخ. ينظر فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ٦٨/١.

(٣) تنظر ترجمتها في: دول الإسلام للذهبي: ١٨٦/٢، ووفيات ابن رافع السلامي: ٢٠٩/٢.

(٤) ينظر معجم الشيوخ للسبكي: ٥٦٤.

(٥) ينظر معجم الشيوخ الكبير للذهبي: ٢٤٨/١.

للقاء العلماء والتعلم منهم خارج دمشق؛ فارتحلت لحلب وحران وماردين وبغداد والموصل والإسكندرية والقاهرة[١].

وقد نبغت في علم الحديث حتى صارت من كبار أهل زمانها، بل أصبحت مسندة الشام؛ بحيث تفردت بأجزاء كثيرة بالسماع والإجازة، وخرج من تحت يديها الكثير من العلماء في شتّى العلوم، وكان منهم وعلى رأسهم: جمال الدين المزي وعلم الدين البرزالي والذهبي وتاج الدين السبكي وابن رافع السلامي، وغيرهم[٢].

وقد أثنى عليها الناس، فقال عنها تلميذها الذهبي: «كانت ديّنة خيرّة، روت الكثير وتزاحم عليها الطلبة، وقرأوا عليها الكتب الكبار، وكانت لطيفة الاخلاق طويلة الروح ربما سمعوا عليها أكثر النهار. قال: وكانت قانعة متعففة كريمة النفس طيبة الخلق، وأصيبتْ عينها برمد في صغرها، ولم تتزوج قط»[٣]. وقال ابن رافع السلامي أحد طلابها: «كانت صالحة عابدة كثيرة الصلاة والصيام وفعل الخير، وحدثت بالكتب الكبار، وكانت سهلة في التسميع محبة لأهل الحديث، كريمة النفس، وطال عمرها، وتفردت بغالب إجازتها، وانتفع بها وخرّج لها»[٤].

ووفاء لها فقد جمع تلميذها النجيب الحافظ علم الدين البرزالي أحاديثها العالية الإسناد في كتاب سماه "الأحاديث الموافقات العوالي"[٥].

توفيت زينب بنت الكمال في ليلة الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مئة (٧٤٠هـ) بسفح قاسيون بدمشق عن أربع وتسعين عامًا[٦]، ونزل الناس بموتها درجة في الإسناد كما ذكر الحافظ الذهبي[٧].

(١) ينظر الدرر الكامنة لابن حجر: ١٢٦/٦.
(٢) ينظر وفيات ابن رافع السلامي: ٢٠٩/٢.
(٣) ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ٢٤٨/٢.
(٤) الوفيات لابن رافع السلامي: ٣١٦/١.
(٥) طبع هذا الكتاب في دار الكتب العلمية عام ٢٠٠٦م بتحقيق الدكتور مصطفى إسماعيل العبيدي.
(٦) ينظر معجم شيوخ السبكي: ٥٦٤، ووفيات ابن رافع السلامي: ٢٠٩/٢.
(٧) معجم الشيوخ الكبير: ٢٤٨/١.

ثالثًا: ترجمة علم الدين البرزالي [٦٦٥ - ٧٣٩ هـ]:

هو القاسم[١] بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يَدَّاس[٢] بن أبي القاسم الإشبيلي الأصل الدمشقي المولد والدار البِرْزالي[٣] الشافعي، علم الدين أبو محمد.

محدّث ومؤرخ مشهور، أصله من قبيلة برزالة بالأندلس، ومولده بدمشق في جمادى الأولى سنة خمس وستين وست مئة ٦٦٥هـ[٤]. بدأ بطلب العلم في سنة ٦٧٥هـ، وكان له من العمر عشر سنين[٥]. فدرس على يد جملة من المشايخ منهم: أبوه وأحمد بن أبي الخير وابن البخاري وابن علان[٦]. ثم أمعن في الطلب ودار على الشيوخ ورحل إلى بلاد الشام ومصر والحرمين والعراق وخراسان، وبلغ عدد شيوخه أكثر من ثلاثة آلاف، جمع تراجمهم في كتاب مطول[٧]. قال الذهبي: «فمشيخته بالإجازة، والسماع فوق الثلاثة آلاف، وكتبه وأجزاؤه الصحيحة في عدة أماكن، وهي مبذولة للطلبة، وقراءته المليحة الفصيحة مبذولة لمن قصده»[٨].

وولي تدريس الحديث بمواضع، وألف كتابًا في التاريخ بدأ فيه من عام مولده فجعله ذيلاً على تاريخ أبي شامة وبلغ به إلى سنة ٧٣٨هـ، وجمع لنفسه ثبتًا، وله أيضًا مختصر المئة السابعة والعوالي المسندة وتعاليق ومجاميع وتصانيف في الحديث والتاريخ، والشروط[٩].

وكان فاضلاً في علمه وأخلاقه، حلو المحاضرة. تولى مشيخة النورية ومشيخة دار الحديث بدمشق، ووقف كتبه، وعقارًا جيدًا على الصدقات[١٠].

(١) تنظر ترجمته في: معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١١٥/٢، ومعجم الشيوخ للسبكي ٣١٩، ووفيات ابن رافع السلامي ٢٨٩/١.

(٢) قيده المنذري فقال: « يداس: بفتح الياء آخر الحروف وتشديد الدال المهملة وفتحها وبعد الألف سين مهملة». التكملة لوفيات النقلة: ٥١٤/٣.

(٣) نسبة إلى برزالة، بالكسر: بطن من البربر، قيده الزبيدي في تاج العروس: ٧٤/٢٨، بينما قيده إسماعيل باشا في هدية العارفين ٨٣٠/١ (بضم الباء)، والصواب الأول.

(٤) ينظر الدرر الكامنة: ٢٧٧/٤.

(٥) ينظر معجم شيوخ السبكي: ٣٢٠.

(٦) ينظر دول الإسلام الكبرى: ٣٨٢/١٠.

(٧) ينظر الأعلام: ١٨٢/٥.

(٨) معجم الشيوخ الكبير: ١١٥/٢.

(٩) ينظر المختصر في أخبار البشر: ١٣١/٤.

(١٠) ينظر المعجم المختص بالمحدثين: ص ٧٨.

توفي في رابع ذي الحجة سنة ٧٣٩هـ تسع وثلاثين وسبع مئة بمنزلة الحاج بخليص بين الحرمين، وكان محرمًا مريداً للحج، ودفن هناك ضحى النهار عند القلعة الخراب، وهو في عمر ال ٧٤ سنة(١).

المبحث الثاني: واو العطف بين مطلق الجمع وإفادة الترتيب – دراسة تطبيقية - خصصت هذا المبحث ليكون دراسة تطبيقية عن دلالة واو العطف بين مطلق الجمع وإفادتها الترتيب في كتاب "الموافقات العوالي" لزينب بنت الكمال، وقد عمدت إلى الأحاديث القولية في الكتاب فقط كما بينت ذلك في المقدمة، وقد قسمته على مطلبين.

المطلب الأول: دلالة الواو على مطلق الجمع من غير إفادة الترتيب

الحديث الأول: «لا تَقْرأ الحائضُ ولا الجُنُبُ شيئًا من القُرَآنِ»(٢).

في هذا الحديث الشريف ينهى رسولنا الأمين محمد صلى الله عليه وسلم الحائض والجنب عن قراءة القرآن، تأكيدًا لوجوب طهارة الجسد كافة عند التلاوة(٣).

وقد ورد ذكر حرف الواو العاطفة في موضع واحد، لعطف جملة على جملة، للدلالة على مطلق الجمع، أي لشمول الحكم بعدم جواز قراءة القرآن للحائض والجنب على حدّ سواء، ومشاركتهما في النهي عن الفعل.

ولم يشترط في دلالة الواو في هذا الموضع الترتيب، أي تقديم الحائض على الجنب، باعتبار طول فترة الحيض إلى خمسة عشر يوماً فأقل(٤)، على عكس الجنابة يمكن إزالتها متى ما أَريد ذلك، لورود الحديث برواية أخرى، أي تقديم الجنب على الحائض: «لَا يَقْرَأُ الْجُنُبُ وَالْحَائِضُ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ»(٥)، فالنهي قائم في كلتا الحالتين.

(١) ينظر وفيات ابن رافع السلامي: ٢٨٩/١.

(٢) الاحاديث الموافقات العوالي: ٥٤. وأخرجه الترمذي في سننه (١٣١)، والبيهقي في سننه ٨٩/١ من طريق الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، به.

(٣) ينظر المفاتيح في شرح المصابيح: ٤٢٢/١.

(٤) ينظر شرح حدود ابن عرفة: ٣٩.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه في سننه (٥٩٥) وأبو الحسن القطان (راوي سنن ابن ماجه) في زوائده على «السنن» (٥٩٦) من طريق هشام بن عمار، عن إسماعيل بن عياش، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، به.

خلاصة القول في دلالة واو العطف: إفادتها مطلق الجمع لا غير.

الحديث الثاني: «أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ، الْخِتَانُ وَالسِّوَاكُ وَالتَّعَطُّرُ وَالنِّكَاحُ»(١).

الحديث لرسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ذكر فيه منهج الرسل وطريقتهم وفعلهم عليهم الصلاة والسلام هذه السنن، كالختان، والسواك، والتعطر، والنكاح(٢)، قال المناوي: «والمراد أنَّ الأربع من سنن غالب الرسل، فنوح لم يختتن، وعيسى لم يتزوج»(٣).

وقد وردت الواو العاطفة في ثلاثة مواضع في الحديث الشريف (عطف المفردات)، تفيد اشتراك استعمال السواك، والتطيب، والزواج مع الختان في حكمه من غير ترتيب أو تعقيب؛ للدلالة على التساوي في الأهمية لهذه السنن، أي مطلق الجمع؛ لورود الحديث بروايتين مختلفتين، لم تراعَ فيهما ترتيب الألفاظ «الْخِتَانُ، وَالسِّوَاكُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالنِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي»(٤)، و«أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: التَّعَطُّرُ، وَالنِّكَاحُ، وَالسِّوَاكُ، وَالْحَيَاءُ» (٥).

خلاصة القول في دلالة الواو هنا: إفادتها مطلق الجمع، من غير ترتيب.

الحديث الثالث: «إِنَّ خَيْرَ مَا زُرْتُمُ اللَّهَ بِهِ فِي مُصَلَّاكُمْ وَقُبُورِكُمُ الْبَيَاضُ»(٦).

يوصينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بلبس البياض عند زيارة الله سبحانه وتعالى في المساجد (في الحياة)، وفي الكفن (عند الممات)(٧)، فالبياض أفضل ما يقابل به الله تعالى(٨)، لأنه أطهر قال الشوكاني: «وأما كونه أطهر فلأن أدنى شيء يقع عليه يظهر فيغسل إذا

(١) الأحاديث الموافقات العوالي: ٩٩. وأخرجه الترمذي في سننه (١١٠٣) من طريق حفص بن غياث، عن الحجاج بن أرطاة، عن مكحول الشامي، عن أبي الشمال، عن أبي أيوب الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، به. لكن بلفظ «الحياء» بدلاً من «الختان».

(٢) ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير: ١٣٨/١، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤٥٦/١.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١/ ٥٩٦.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ: عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٠٣٩٠) من طريق الحجاج بن أرطاة، عن مكحول، عن أبي أيوب الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، به.

(٥) رواه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٢٣٥٨١) امن طريق لحجاج بن أرطاة، عن مكحول عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم، به.

(٦) الأحاديث الموافقات العوالي: ٩٣. وأخرجه ابن ماجه في سننه (٣٥٦٨) بلفظ: «إن أحسن ما زرتم الله به في قبوركم ومساجدكم البياض» من طريق مروان بن سالم، عن صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي عن أبي الدرداء، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، به.

(٧) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٢٧٩٦/٧.

(٨) ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير: ٣٠٩/١.

كان من جنس النجاسة فيكون نقيًّا»[١].

وقد وردت الواو العاطفة مرة واحدة، للعطف بين مفردتين، للدلالة على مطلق الجميع للبس اللون الأبيض في المساجد والقبور، دون تقديم أو تأخير بين اللفظتين، من غير مراعاة للأهمية والرتبة والترتيب الزمني؛ كون الذهاب للمسجد يكون في الحياة قبل الممات، لأنَّ الحياة تسبق الموت، استنادًا لوجود رواية أخرى للحديث تكون فيها لفظة القبور مقدمة على المسجد: «إِنَّ أَحْسَنَ مَا زُرْتُمْ اللَّهَ بِهِ فِي قُبُورِكُمْ وَمَسَاجِدِكُمْ الْبَيَاضُ» [٢].

وخلاصة القول في الواو هنا: إفادتها مطلق الجمع، من غير ترتيب.

المطلب الثاني: دلالة الواو على مطلق الجمع مع إفادة الترتيب

الحديث الأول: «إِذَا اسْتُودِعَ اللهُ شَيْئًا حَفِظَهُ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمَا، وَأَمَانَتَكُمَا، وَخَوَاتِمَ عَمَلِكُمَا»[٣].

حديث لرسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يوضح فيه الدعاء للمسافر بإن يحفظه من كل سوء قد يصيبه، سواء أكان في الدين، أو الأمانة، أو ما يختتم به حياته[٤].

وقد ورد ذكر حرف العطف (الواو) في هذا الحديث النبوي، فالشائع لدى النحاة واللغويين دلالة الواو على مطلق الجمع[٥]، وبالرجوع لشروح الحديث تبين اختلاف قول الشراح في مفهوم الأمانة، فأما الأول، ذهب بتفسيرها إلى التكاليف الشرعية المناطة بالمسلم؛ أي جعلها والدين سواء[٦]، كما فُسر قوله تعالى:]إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا[[٧]، وبهذاالشرح تكون دلالة الواو

(١) نيل الأوطار: ١١٦/٣.
(٢) هذا لفظ ابن ماجه في سننه (٣٥٦٨) كما تقدم بيانه.
(٣) الأحاديث الموافقات العوالي: ٩٥. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥٠٦) وابن حبان في صحيحه (٢٦٩٣) من طريق محمد بن عائذ، عن الهيثم بن حميد، عن المطعم بن المقدام، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، به.
(٤) ينظر جامع العلوم والحكم: ٤٦٩/١.
(٥) ينظر المقتضب: ١٠/١، الجنى الداني: ١٥٧.
(٦) ذكر الطحاوي ذلك في شرح مشكل الآثار: ١٩٦/١٥.
(٧) سورة الأحزاب: ٧٢.

العاطفة لمطلق الجمع أي الدعاء بالحفظ للدين والأمانة وخاتمة العمل، أما القسم الآخر فذهب إلى شرح مفهوم الأمانة بالأهل والأولاد والمال[١]، وذكر المناوي وجوب تقديم الدين على الأهل والمال للأهمية[٢]، ولهذا أفادت هنا الواو الترتيب حسب أهمية هذه الأشياء.

وخلاصة القول: إنَّ واو العطف دلّت على مطلق الجمع والترتيب لمن فسّر لفظ الأمانة بالدين، بل جعلها هي الإيمان نفسه، » لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ «[٣]؛ لأنه ترتيب معنوي يبدأ بالأصل وهو الدين ثم الفرع وهي الأمانة والثمرة وهي خاتمة ذلك الأصل، وتدل على الترتيب أيضًا لمن فسر الأمانة بالأهل والأولاد والمال، وهذا ما أميل له من رأي؛ لأن الأهل والمال من الأمانات التي يتركها المسافر ويتطلب استيداعهم الله تعالى.

الحديث الثاني: «أما إنَّها كائِنةٌ ولم يأتِ تأويلُها بعدُ»[٤].

هذا الحديث جاء جوابًا لنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم عندما سُئل عن تفسير قوله تعالى:]قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا[[٥]، فذكر عليه الصلاة والسلام بأنَّ العذاب الذي ذُكر في الآية الكريمة موجود ولا خلاف في ذلك، أما حصولها ومآلها غير معلوم، حيث جاء التأويل هنا بمعنى الوقوع[٦]، أي واقع لا محالة.

وقد جاءت الواو العاطفة للربط بين جملتين، إحداهما اسمية (تدل بحتمية وجود العذاب)، والأخرى فعلية (تدل على التغير عبر الزمن)؛ للدلالة على مطلق الجمع بين إثبات وجود العذاب، ووقت تحقّقه لأنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم لايعلم الغيب إلا بالقدر الذي أراده الله تعالى، وللدلالة على الترتيب؛ كون وجود الشيء (العذاب) أولًا، ثم يأتي بعد ذلك وقوعه أو حصوله.

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والآثر: ١٤٩/٢.

(٢) ينظر فبض القدير: ٥٠١/١.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه (١٥٨٥) والترمذي في سننه (٦٤٦) من طريق سنان بن سعد الكندي، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم له. وينظر مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح: ١٦٩٠/٤.

(٤) الأحاديث الموافقات العوالي: ٥٣. وأخرجه الترمذي في سننه (٣٣٢٠) من طريق الحسن بن عرفة، عن إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني، عن راشد بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم، به.

(٥) سورة الأنعام: ٦٥.

(٦) ينظر التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير: ١٢٣/٢.

وخلاصة القول في دلالة الواو في هذا الحديث الشريف: إفادتها مطلق الجمع، مع الترتيب.

الحديث الثالث: «الجاهرُ بالقُرآنِ، كالجاهرِ بالصَّدقةِ، والمُسِرُّ بالقُرآنِ، كالمُسِرِّ بالصَّدقةِ»(١).

في الحديث النبوي الشريف يشبه نبينا صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن بالصدقة، فالذي يجهر بقراءته كالذي يجهر بالصدقات، والمسر به مثل المسر بالصدقات، وفُضّل الإسرار على الجهر خوفًا من الرياء(٢).

وقد عطف بين الجملتين بالواو؛ للدلالة على اشتراك قراءتي الجهر والإسرار في التشبيه بالصدقة، والترتيب بتقديم الجهر على الإسرار؛ بالرغم من وجود رواية أخرى للحديث بتقديم الإسرار «الْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ، وَالْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ»(٣)، فاستنادًا إلى قوله تعالى:]إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ[(٤)، فقُدم الجهر بالصدقة كونه أصل، وهو خير وأمر مستحسن، لكن الإخفاء أفضل(٥)، وكذلك الحال بالنسبة للحديث النبوي، فهو سار على نهج القرآن الكريم، وأسلوبه.

خلاصة القول في دلالة الواو العاطفة: مطلق الجمع، مع إفادتها الترتيب.

الحديث الرابع: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ» (٦).

في هذا الحديث الشريف يوضّح نبنا الكريم صلى الله عليه وسلم أمرًا شرعيًّا يتعلق بالمواريث، فنهى أنْ يرث المسلم الكافر، والعكس فيه خلاف، فذهبوا فيه مذاهب مختلفة(٧).

ووردت الواو للعطف بين جملتين، للدلالة على مطلق الجمع بين الجملتين، أي اشتراك المسلم والكافر به بعدم جواز أنْ يرث أحدهما الآخر، وكذلك إقتضاءها الترتيب؛ حيث قدّم جملة المسلم لأنَّ الخطاب موجه للمسلمين، فهو يعطي تركيزًا أكثر عليه، بالرغم من وجود رواية

(١) الأحاديث الموافقات العوالي: ٥٧. وأخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٦٨)، وأبو داود في سننه (١٣٣٣)، والترمذي في سننه (٣١٤٦)، والنسائي في سننه ٣/ ٢٢٥، وابن خزيمة في صحيحه (٧٣٤) من طريق خالد بن معدان، عن كثير بن مرة الحضرمي عن عقبة بن عامر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، به.

(٢) ينظر سنن الترمذي: ٥/ ٤٠، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٥٠٣/٤.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٧٣٧) من طريق خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عقبة بن عامر، به.

(٤) سورة البقرة: ٢٧١.

(٥) ينظر التحرير والتنوير: ٦٧/٣.

(٦) الأحاديث الموافقات العوالي: ٧٧. وأخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٦٤)، ومسلم في صحيحه (١٦١٤) من طريق ابن شهاب الزهري، عن علي بن حسين، عن عمر بن عثمان، عن أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم به.

(٧) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم: ٥٢/١١.

أخرى للحديث «لَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ، وَلَا الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ»(١)، لكن الرواية الأولى هي الأكثر دقَّة ووثوقًا في السند(٢).

خلاصة القول: إفادة الواو العاطفة مطلق الجمع، مع الترتيب.

الحديث الخامس: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ اطْوِ لَنَا الْأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا سَفرنا» (٣).

هذا الحديث النبوي هو دعاء مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم يردده الأنسان عند ركوبه الدابة للسفر، فيستعيذ فيه بالله من مَشقَّة السفر، وانكسار النفس من الحَزَن، وأنْ يَرى ما يسوؤه في الأهل والمال، فيدعوا الله تعالى بتسهيل الطريق وتيسيره له(٤).

وقد وردت الواو العاطفة في خمسة مواضع، فالموضع الأول والثاني في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ) للدلالة على مطلق الجمع، ومراعاة الترتيب بين هذه الأمور، أي الإستعاذة تشمل وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر، أي المشاركة في الإستعاذة.

أما بالنسبة لدلالتها على الترتيب، فيكون بترتيب هذه الألفاظ ترتيبًا منطقيًا، فذكر كآبة المنقلب بعد ذكر وعثاء السفر، فالأمر طبيعي يحدث بالتدرج فبعد التعب والمشقَّة التي تصيب المسافر؛ جراء سفره يظهر الحزن والهم عليه؛ إذا لم تنقضِ حاجته عند الرجوع(٥)، ثم ذكر سوء المنظر أي بعد الرجوع من السفر إلى أهله، فهذا دليل على ترتيب هذه الألفاظ بالواو العاطفة، بالإضافة إلى مطلق الإستعاذة من هذه الأمور.

(١) رواه بهذا اللفظ: أحمد في مسند (٢١٧٦٦) والنسائي في سننه الكبرى (٦٣٤٦) من طريق الزهري، عن علي بن حسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، به.

(٢) ينظر صحيح مسلم: ١٢٣٣/٣.

(٣) الأحاديث الموافقات العوالي: ٨٦. وأخرجه النسائي في سننه الكبرى (١٠٣٣٤) بهذا اللفظ من حديث محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، به. وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٤٢) من حديث أبي الزبير عن علي الأزدي عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

(٤) ينظر ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٦٨٠/٤.

(٥) ينظر ذخبرة العقبى في شرح المجتبى: ٥٥/٤٠.

أما الموضع الثالث في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ) فدلّت الواو العاطفة على مطلق الجمع لسوء المنظر للأهل والمال جميعًا، وكذلك مع مراعاة الترتيب فقدم الأهل على المال؛ لكون الأهل هم الأهم والأعزّ والأحب إلى القلب من المال على وفق الفطرة السليمة للإنسان، قال تعالى:]قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا[(١)، ففي تفسير هذه الآية قال الزحيلي: «هذا ترتيب حسن، يبدأ بالأشدِّ تعلقًا والأدعى إلى المخالطة وهو القرابة، ثم الحرص على المال»(٢)، فتقديم الأهل على المال يكون في سياق الكلام عن الحبّ والمحبة، فكذلك الحديث الشريف سائر على خطى القرآن ونهجه.

أما الموضع الرابع في قوله صلى الله عليه وسلم (اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ) دلّت الواو العاطفة، على مطلق الجمع والترتيب، أي شمول المسافر وما تركه من أهله بالرعاية الإلهية على حدٍّ سواء، وقدَّم الصاحب في السفر، ترتيبًا من الأهم إلى المهم بحسب طبيعة الحال؛ كون المسافر أشد حاجة للمصاحبة حتى يخفف وحشة السفر وخطره.

أما الموضع الأخير في قوله صلى الله عليه وسلم (اللهُمَّ اطْوِ لَنَا الْأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا سَفرنا) فدلَّت الواو على مطلق الجمع في الدعاء بين تقصير طريق السفر وتيسيره للمسافر، وكذلك الترتيب؛ فتهوين السفر وتيسيره مربوط بقصر مسافة الطريق وطولها، خاصة في الزمن السابق، أي في وقت السفر على الدابة.

وخلاصة القول في دلالة الواو العاطفة: مطلق الجمع، مع إفادتها الترتيب في جميع المواضع المذكورة في هذا الحديث الشريف.

الحديث السادس: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّماواتِ والأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهادةِ، لا إله إلَّا أَنْتَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَليكَهُ، أَعُوذُ بكَ من شَرِّ نَفْسي، ومن شَرِّ الشَّيْطانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ على نَفْسي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إلى مُسْلِمٍ»» (٣).

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) التفسير المنير: ١٥٠/١٠.

(٣) الأحاديث الموافقات العوالي: ٥٦. وأخرجه أحمد في مسنده (٦٨٥١)، والترمذي في سننه (٣٨٤٠) من طريق إسماعيل بن عياش، عن محمد بن زياد، عن أبي راشد الحبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، به.

هذا الحديث النبوي الشريف هو من الأذكار علّمه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه، عندما طلب منه دعاءً يذكره في الصباح والمساء[١].

وقد وردت الواو العاطفة في هذا الحديث في عدة مواضع، فالموضع الأول وردت بين (فَاطِرَ السَّماواتِ والأَرْضِ) فدلت على مطلق الجمع لخلق الله تعالى السماء والأرض، مع إفادتها الترتيب حيث قدم لفظ السماء على الأرض لرتبتها وفضلها وشرفها[٢]، وذكر السماء والأرض يكون غالبًا في سياق الدلالة على وحدانية الله تعالى، وكما نعلم أنَّ علامات الله في السماء أعظم[٣]؛ لسعتها وسياق الحديث هو الدعاء، فمن الطبيعي أنْ يدعو الله ويبدأ بما هو أعظم.

أما الموضع الثاني، في قوله صلى الله عليه وسلم (عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهادةِ)، فدلت الواو العاطفة على مطلق الجمع، أي أنَّ الله يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه، وقيل السر والعلن[٤]، وإفادتها الترتيب بتقديم الغيب على الشهادة، شأنها شأن الآيات التي وردت في الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: [ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ][٥] فالحديث سائر على نهج القرآن الكريم، فقال الآلوسي: «تقديم الغيب على الشهادة قيل: لتحقيق أنَّ نسبة علمه تعالى المحيط إلى سائر الأشياء السر والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده، كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته منزّه عن أنْ يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى، وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة»[٦].

وكذلك الحال بالنسبة للموضع الثالث في قوله صلى الله عليه وسلم (رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَليكَهُ)، فدلت على مطلق الجمع والترتيب، أي أنَّ الله هو موجد الشيء ومالكه، وقُدّم ذكر صفة الرب، أي الموجد للأشياء وخالقها على المليك الذي يتصرف بها[٧]، من باب أهمية هذه الصفة وأفضليتها ولتضمن الرب معنى المالك، قال أبو الهلال العسكري: «إنَّ الصفة برب أفخم من الصفة بمالك لأنها من تحقيق القدرة على تدبير ما ملك، فقولنا ربّ يتضمن معنى الملك

(١) ينظر شرح رياض الصالحين: ٥/ ٥٤١.
(٢) ينظر بدائع الفوائد: ١/ ٦٣.
(٣) ينظر بدائع الفوائد: ١/ ٧٤.
(٤) ينظر شرح حصن المسلم: ١٤٧.
(٥) سورة التوبة: ٩٤.
(٦) روح المعاني: ٦/٥.
(٧) ينظر شرح رياض الصالحين: ٥/٥٤١.

والتدبير فلا يكون إلا مطاعًا أيضًا»[١]

والحال نفسه في الموضع الرابع، في قوله صلى الله عليه وسلم: (أعُوذُ بكَ من شَرِّ نَفْسي، ومن شَرِّ الشَّيْطانِ)، فدلّت على مطلق الجمع، أي الإستعاذة بالله من شرِّ النفس وشرِّ الشيطان، وقدَّم شرَّ النفس على الشيطان، لأنَّ للنفس شرٌّ قال تعالى:]إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي[[٢]، وهي أسرع إجابة إلى داعي الشرِّ من الشيطان ومصائده[٣].

أما الموضع الأخير في قوله صلى الله عليه وسلم (ومن شَرِّ الشَّيْطانِ وَشِرْكِهِ) فدلّت الواو العاطفة على مطلق الجمع والترتيب، أي الإستعاذة من الشيطان نفسه وشركه[٤]، والترتيب بتقديم الشيطان أي اللفظ العام ثم ذكر جزء منه، أي شركه، بالرغم من اختلاف رواية شركه – بكسر الشين وسكون الراء، ورواية فتح الشين والراء - فالمعنى واحد سواء كان بوسوسته بالإشراك بالله أو مكائده[٥].

خلاصة القول: إفادة واو العطف الترتيب، مع مطلق الجمع في جميع مواضع هذا الحديث الشريف.

(١) الفروق اللغوية للعسكري: ٢٤٧.
(٢) سورة يوسف: ٥٣.
(٣) ينظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٢٩/٨.
(٤) ينظر شرح حصن المسلم: ١٤٨.
(٥) ينظرمرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٢٩/٨.

الخاتمة

هذه الدراسة تبين أنَّ الواو العاطفة من الحروف التي اختلف النحاة في دلالتها بين مطلق الجمع من غير ترتيب، وبين إفادتها الترتيب، فبعد دراستي لتسعة أحاديث قولية في كتاب «الأحاديث الموافقات العوالي» لزينب بنت الكمال، توصلت إلى إنَّ دلالة الواو العاطفة على مطلق الجمع جاءت من الدلالة الوضعية لها، أي بغض النظر عن سياق الكلام التي وردت فيه، أما دلالة الترتيب لها فقد اكتسبتها من دلالة السياق، والبنية العميقة للنصوص المدروسة.

وتعدد الرواية في الحديث النبوي من الأمور التي تؤثر في دلالة الواو العاطفة، فيدحض دلالتها على الترتيب ويكون حجة قوية لدلاتها على مطلق الجمع؛ لاختلاف ترتيب المتعاطفات بالواو فيها، وقد ورد ذلك في ثلاثة أحاديث.

وفي سياق ما تقدم من كلام أَوصي بضرورة فهم دلالة واو العطف، من خلال الوقوف على الدلالة السياقية المتداولة لها شرط عدم إغفال الدلالة الوضعية، وبضرورة تقديم مزيد من الدراسات التي تهتم بدلالة الواو العاطفة وربطها بالدراسات الحديثة بما يسهم من تجديد البحث اللغوي والإفادة منه في الدراسات اللغوية المعاصرة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

١ - الأحاديث الموافقات العوالي: زينب بنت كمال الدين المقدسية (ت٧٤٠ ه). تحقيق مصطفى إسماعيل مصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٦م.

٢ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤ه). تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨م.

٣ - ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ ه). تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ت).

٤ - إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: برهان الدين إبراهيم بن قيم الجوزية (ت ٧٦٧ ه). تحقيق د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف، الرياض ١٩٥٤ م.

٥ - الأصول في النحو: لابن السراج، محمد بن السري (ت ٣١٦ه). تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت (د. ت).

٦ - الأعلام: الزركلي: خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦ه). دار العلم للملايين ٢٠٠٢م.

٧ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام: عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١ه). تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت).

٨ - بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ه). دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).

٩ - البسيط في شرح جمل الزجاج: ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد الإشبيلي (ت٦٨٨ه). دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦م.

١٠ - تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت١٢٠٥ه) تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية (د. ت).

١١ - التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير: محمَّد بن إسمَاعيل الأمير (ت١٧٦٨م)، مكتبة الرشد، (د. ت).

١٢ - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ويعرف بالتحرير

والتنوير: الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

١٣ - التعريفات: الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م.

١٤ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق ١٤١٨هـ.

١٥ - التكملة لوفيات النقلة: للمنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ). تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م.

١٦ - تهذيب اللغة: للأزهري: محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ). تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م.

١٧ - التيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي، زين الدين محمد (ت ١٠٣١هـ) مكتبة الإمام الشافعي، الرياض ١٩٨٨م.

١٨ - الجامع الصحيح: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) دار الشعب، القاهرة ١٩٨٧م. - الجامع الكبير = سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ). تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.

١٩ - جامع العلوم والحكم: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(ت ٧٩٥هـ)، دار المعرفة – بيروت ١٤٠٨هـ.

٢٠ - الجمل في النحو: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ). تحقيق د. فخر الدين قباوة ١٩٩٥م.

٢١ - الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين بن عليّ المرادي (ت ٧٤٩هـ). تحقيق د. فخر الدين قباوة. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

٢٢ - حروف المعاني والصفات: الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٧هـ). تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.

٢٣ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ). تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٧٢م.

٢٤ - دول الإسلام: للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: حسن

إسماعيل مروة. دار صارد، بيروت ١٩٩٩م.

٢٥ - ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، دار المعراج الدولية للنشر، دار آل بروم للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

٢٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٤م.

٢٧ - سنن ابن ماجه: ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ). تحقيق شعيب الأرنؤوط / عادل مرشد. دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

٢٨ - سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ). تحقيق شعيب الأرنؤوط / محمد كامل قره بللي. دار الرسالة العالمية ٢٠٠٩م.

٢٩ - سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(ت٩١٥م) تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م.

٣٠ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل: عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة ١٩٨٠م.

٣١ - شرح حدود ابن عرفة: الرصاع: محمد بن قاسم الأنصاري (ت ٨٩٤هـ). المكتبة العلمية ١٣٥٠هـ.

٣٢ - شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة: سعيد بن علي بن وهف القحطاني. مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض ١٤٢٦هـ

٣٣ - شرح كتاب الحدود في النحو: عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (ت ٩٧٢ هـ). تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩٣م.

٣٤ - شرح مشكل الآثار: الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٢١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤م.

٣٥ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ). تحقيق حسين بن عبد الله العمري، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٩م.

٣٦ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.

٣٧ - العين: للفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ). تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (دون تاريخ).

٣٨ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث: للسخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ). تحقيق علي حسين. دار الإمام الطبري، بيروت ١٩٩٢م.

٣٩ - الفصول المفيدة في الواو المزيدة: صلاح الدين أبو سعيد العلائي (ت ٧٦١هـ). تحقيق حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان ١٩٩٠م.

٤٠ - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢م.

٤١ - الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ). تحقيق محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة، القاهرة ١٩٩٧م.

٤٢ - فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، زين الدين محمد (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦م.

٤٢ - الكتاب: لسيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ). تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٤ - الكناش في فني النحو والصرف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ). تحقيق رياض ابن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ م.

٤٥ - مسند أحمد بن حنبل: أبو عبدالله الشيباني (ت ٢٤١هـ). تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٨ م.

٤٦ - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).

٤٧ - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للمباركفوري، عبيد الله بن محمد (ت ١٤١هـ). إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الهند ١٩٨٤م.

٤٨ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن محمد الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ). دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٩ - معرفة أنواع علوم الحديث: ويعرف بمقدمة ابن الصلاح: لابن الصلاح، عثمان بن

عبد الرحمن (ت٦٤٣هـ). تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٨٦م.

٥٠ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: محيي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ.

٥١ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ). تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٥٢ - المقتضب: للمبرد: محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ). تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ.

٥٣ - معجم الشيوخ: تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ). تحقيق بشار عواد - مصطفى إسماعيل الأعظمي. دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٤م.

٥٤ - المعجم المختص بالمحدثين: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف ١٩٨٨م.

٥٥ - معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.

٥٦ - المفاتيح في شرح المصابيح: للزيداني، الحسين بن محمود بن الحسن (ت٧٢٧ هـ). تحقيق: لجنة مختصة من المحققين، دار النوادر ٢٠١٢ م.

٥٧ - نتائج الفكر في النَّحو: للسُّهَيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

٥٨ - النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ). تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مصورة دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

٥٩ - نيل الأوطار: للشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ). تحقيق: عصام الدين الصبابطي. دار الحديث، مصر ١٩٩٣م.

٦٠ - هديَة العارفين أَسمَاء المؤلفين وآثار المصنفين: إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد الْبَغْدَادِيّ (ت١٣٩٩هـ). دَار إِحْيَاء التراث الْعَرَبِيّ، بيروت، دون تاريخ.

٦١ - واو العطف وإفادة الترتيب دراسة دلالية على نماذج من القران الكريم: د. عمرو أحمد عطيفي، بحث منشور في مجلة الزهراء، العدد الحادي والثلاثون.

٦٢ - الوفيات: لابن رافع السلامي، محمد بن هجرس (ت ٧٧٤هـ). تحقيق صالح مهدي عباس د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.